سورة الذاريات

obeikandl.com

﴿ سورة الذاريات ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

اعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر أن المتقين آخذين ما آتاهم ربهم، لكونهم رضوا بما قسمه الحق تعالى لهم ولم يتطلعوا لمن أعلى منهم مرتبة، وهم المقربون، ولو تطلعوا إلى ما أعده الحق سبحانه للمقربين، لقالوا يا ربنا ما أعطيتنا شيئاً، ذلك لأن الله سبحانه ألغى تطلعات أهل الجنة بعضهم على بعض يقول سبحانه:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾

وقد ذكر النبى ﷺ ذلك بقوله: ((إن أهل الجنة ليترآون كما يترآى أحدكم النجم فى السماء)) .

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

لكونهم يسافرون فيه بأرواحهم، وهو عرسهم، وقد كانت السيدة الحكيمة العاقلة رابعة العدوية إذا أقبل الليل فرحت، وسرى عنها، وشدت وسطها بالمئزر، وقالت لزوجها: ألك حاجة بى ؟ فتظل هكذا حتى السحر فإذا رأت ضوء الفجر تربد وجهها.

وظل الحسن البصرى رحمه الله أربعين عاماً يصلى الفجر بوضوء العشاء.

وقد كان شيخنا محمد الحافظ التجانى ﷺ لا يصلى الفجر إلا بوضوء العشاء وظل هكذا طوال عمره لا ينام ليله حتى يصلى ركعتى الفجر ويرقد.

﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

أى فى أوقات التجليات يتندمون على ما فاتهم من لذه الخطاب.

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

هذا لأهل المعرفة خاصة، فلا يبصر نفسه سواهم، وغيرهم محجوب عن رؤية نفسه، وقد قال المصطفى ﷺ: ((**من عرف نفسه فقد عرف ربه**)).

وقد أقام الحق سبحانه حجاب الغيرة على النفس، لكونها على صورته يقول ﷺ فيما رواه مسلم عنه: ((**إن الله خلق آدم على صورته**))

فلا يدخل العارف حضرة النفس ويخرق حجابها إلا بسلطان المجاهدة، الحائل بينه وبين معرفة هذا السر، ولذلك أمرنا الحق سبحانه بمجاهدة حجاب النفس، حتى نبصر بلورة النفس الصافية من خلقه، والتى خلقها الله صافية نقية بدون أوساخ وحجب الظلمات، ولذلك لم يعرف حقيقة هذا السر سوى من جاهد نفسه من السادة العارفين وخرق أسوار هذا الحجاب.

﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

أى الرزق الحسى والمعنوى، أقول: وحكمة ذكر أنه فى

السماء برغم أن الرزق يؤخذ من الأرض، وهو جهة الدنو أنه أشار إلى عالم الأمر، وأغفل عالم الخلق، لكوننا نحن عالم الخلق المتلقين للرزق، ولولا عالم الأمر لما تنزل الرزق إلى عالم الخلق.

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

اعلم أيدك الله أن أبا حيان التوحيدى ذكر فى كتاب الإمتاع والمؤانسة بأن الله شئ واحتج بقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ ﴾

ولو تتبعنا ظاهر الآية لوجدنا أن ظاهرها دال على انتقاء الشيئية عنه سبحانه، وإلا فإنه لو ضم إلى ظاهر الأشياء سبحانه، لخلق منه اثنين كبقية الأشياء، وهذا مناقض لما قاله التوحيدى فى حقه سبحانه.

واعلم أنه سبحانه فرد صمد لم يلد ولم يولد، وهو أحد ليس كمثله شيء.

فهو ليس كمثله أى شئ لا ظاهراً ولا باطناً.

قال قوله سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾

على أنه منزه عن الأشياء، وأن الأشياء والشيئية لا تماثله ولا تضاهيه.

أما فى علومنا نحن أهل الباطن فعندما يشير من يشير منا كعبد الكريم الجيلى فى كتاب "الإنسان الكامل" إلى أن الحق تعالى لما إراد أن يعرف وكان واحداً تفرعت منه الكثرة.

أقول: إنما عبروا بالكثرة فى الأعيان فقط، لا فى عين الذات

وصفاتها وأسمائها، فحاشاه سبحانه أن يتشعب ويتفرغ من واحد إلى أفراد كثر لكى يثبت وحدانيته .

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾

أى تجردوا مما سوى الله وكل ما يشغلكم عنا، لكى تصلوا إلينا، وتجردوا من كل ما هو مذموم بتطليقكم لرسوم الطبيعة واستيلاء الهوى عليكم .

أقول: وللعارفين رسوم غريبة وحكايات بديعة فى فرارهم من الخلق إلى الحق، ونذكر هنا بعضاً منها على سبيل التبرك.

فيحكى أن مالكاً بن دينار كان يسف الدقيق مكتفياً عن الخبز، وكان يقول رحمه الله رجل يزرع ويحصد ويطحن ويخبز إنه لفارغ.

ويحكى عنه أنه كان لا يجد الوقت لكى ينظر فى المرآة.

ويحكى عنه أنه لبث زماناً لا يمشط فيه شعره .

ويحكى عن إبراهيم الخواص رحمه الله أن الخضر عليه السلام جاءه لكى يصاحبه وطلب منه الصحبة فأبى وقال: أخاف أن تشغلنى صحبتك عن الله .

ويحكى عن بعضهم أنه سُئِلَ: ألا تتزوج ؟

فقال: لى نفس أود أن أطلقها فكيف أضم إليها أخرى

واعلم يا أخى أن الفرار ليس كما يؤديه المعنى الظاهرى من الآية والمعنى اللغوى، بل ربما فار فى الصحراء وهو مشغول، وربما من هو عاكف فى خدمة الخلق هو أتم الناس فراراً منهم إلى ربه، وكان هذا مقام أبى العباس المرسى ﷺ حيث كان يقول ربما ألاعب أولادى ونفسى عند العرش.

فهذا هو الفار الكامل الذى لم تشغله الأعيان عن ربه، وهو تمام الفرار، ولما سألت شيخنا عبد المجيد الشريف رضى الله عنه عن الفرار؟

قال: أتمه فرار رسول الله ﷺ، حيث كان فاراً من الخلق إلى الله وهو مع الخلق، وهو مقام الجمعية الكاملة، فجمع بين الخلق والحق فى فراره.

فالواجب على الفار أن يتخلق بما نخلق به حضرة النبى الأكرم محمد ﷺ.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

فقد فانشغلوا بما كفيتهم إياه من أمور الرزق، فأضاعوا المقصد الأسمى من الخلق، وانشغلوا بما لا يعنيهم.

﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾

أى الرزق الحسى والطعام الحسى، وإلا فإنه سبحانه أمرنا أن نطعمه فى صورة الفقير، وأن نعوده فى صورة المريض، بقول سبحانه فى الحديث القدسى: يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى.

قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟

فيقول: مرض عبدى فلان فلم تعده. ..... إلى أخر الحديث

فمن أراد إطعام الحق أطعمه فى خلقه المحتاجين، وتفضل عليهم تخلقاً بأسمائه سبحانه.

فالمطعم هاهنا لخلقه المحتاجين تخلق باسمه سبحانه الكريم والجواد والرزاق والمغنى، فمن منصة هذا التخلق بهذه الأسماء

يتفضل الغنى على الفقير، فيطعم الله ويعوده والله أعلم.

obeikandl.com